

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } * { إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } * { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ } * { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } (1-4)

الإيلاف: مصدر آلفت الشيء إيلافا و " إلفا " إذا لزمته وتعودت عليه. وتقول: آلفت فلانا الشيء، إذا لزمته إياه. والإيلاف - أيضا - اجتماع الشمل مع الالتئام، ومنه قوله - تعالى -

{ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا... }

ولفظ " إيلاف " مضاف لمفعوله وهو قريش، والفاعل هو الله - تعالى - : و " قريش " هم ولد النضر بن كنانة - على الأرجح - وهو الجد الثالث عشر للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال القرطبي ما ملخصه: وأما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس، بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي.

وسموا قريشا، لتجمعهم بعد التفرق، إذ التقرش: التجمع والالتئام.. أو سموا بذلك لأنهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم، والتقرش: التكبس، ويقال: قرش فلان يقرش قرشا - كقتل -، إذا كسب المال وجمعه..

وقوله: { إِيْلَافِهِمْ } بدل أو عطف بيان من قوله { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } ، وهو من

أسلوب الإجمال فالتفصيل للعناية بالخبر، ليتمكن في ذهن السامع كما في قوله -
تعالى -:

{ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ... }

واللام في قوله - تعالى - : { لِإِيْلَافٍ ... } للتعليل . والجار والمجرور متعلق بقوله -
تعالى - : { فَلْيَعْبُدُوا ... } . وتقدير الكلام: من الواجب على أهل مكة أن يخلصوا
العبادة لله - تعالى - لأنه - سبحانه - هو الذي جمعهم بعد تفرق، وألف بينهم،
وهياً لهم رحلتين فيهما ما فيهما من النفع والأمن .

وزيدت الفاء في قوله - تعالى - : { فَلْيَعْبُدُوا ... } لما في الكلام من معنى الشرط،
فكأنه - سبحانه - يقول لهم: إن لم تعبدوني من أجل نعمي التي لا تحصى، فاعبدوني
من أجل أني جعلتكم تآلفون هاتين الرحلتين النافعتين في أمان واطمئنان، وأنى جمعت
شملكم، وألفت بينكم ..

قال صاحب الكشاف: " لإيلاف قريش " متعلق بقوله: { فَلْيَعْبُدُوا } أمرهم أن
يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين .

فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط، لأن المعنى: إما لا
فليعبدوه لإيلافهم . على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه،
فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة .

وقيل المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش . وقيل هو متعلق بما قبله - في السورة السابقة -

أى: فجعلهم كعصف مأكول. لإيلاف قريش، وهذا بمترة التضمين فى الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله..

وقوله - سبحانه -: { رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } بيان لمظهر من مظاهر هذا الإيلاف الذى منحه - سبحانه - لهم، والرحلة هنا: اسم لارتحال القوم من مكان إلى آخر، ولفظ " رحلة " منصوب على أنه مفعول به لقوله { إِيْلَافِهِمْ } .

والمراد بهذه الرحلة: ارتحالهم فى الشتاء إلى بلاد اليمن، وفى الصيف إلى بلاد الشام، من أجل التجارة، واجتلاب الربح. واستدرار الرزق، والاستكنار من القوت واللباس وما يشبههما من مطالب الحياة.

وقيل: المراد برحلة الشتاء والصيف: رحلة الناس إليهم فى الشتاء والصيف للحج والعمرة، فقد كان الناس يأتون إلى مكة فى الشتاء والصيف لهذه الاغراض، فيجد أهل مكة من وراء ذلك الخير والنفعة، كما قال - تعالى -:

{ لِيَشْهَلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ }

وبعد أن ذكرهم - سبحانه - بنعمه أمرهم بشكره، فقال: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا أَلْبَيْتِ ... } . أى: إن كان الأمر كما ذكرنا لهم، فليخلصوا العبادة لله - تعالى - الذى حمى لهم البيت الحرام، والكعبة المشرفة، ممن أرادهما بسوء..

{ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ } أى: الذى وسع لهم الرزق، ومهد لهم سبيله، عن طريق الوفود التى تأتى إليهم من مشارق الأرض ومغربها.

{ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } أى: والذى أوجد لهم الأمن بعد الخوف، والسعة بعد الضيق،
يركة هذا البيت الحرام.

وتنكير " جوع " و " خوف " للتعظيم، أى: أطعمهم بدلا من جوع شديد، وآمنهم
بدلا من خوف عظيم، كانوا معرضين لهما، وذلك كله من فضله - سبحانه -
عليهم، ومن رحمته بهم، حيث أتم عليهم نعمتين بهما تكمل السعادة، ويجتمع السرور.

ومن الآيات التى تشبه هذه الآية قوله - تعالى -:

{ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ... }

وقوله - سبحانه -:

{ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا... }

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.